قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

حين تباعدَ اليهـودُ عن تَعـاليم التَّـوراةِ التي نَـزلتْ على مـوسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأَوامِرِهِ ، عندئذٍ وقـعَ لهم مـا يقعُ لكـلِّ أُمةٍ تهجـرُ كِتـابَهـا أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّـها المُرسلِ . .

تَـدهـورتْ أَحــوالُ بني إسـرائيــلَ عنـدئذٍ . . وهُـزِمـوا من أَعـدائِهم . . وٱستولى الأعداءُ على تابوتِ العهـدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشـرَّدوا في الأرضِ ، وطُـرِدوا مـن دِيـارهِم ، وساءَتْ أَحـوالُهُم ، وشـاعَ الـذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شـاءَ الله تبـاركَ وتعـالىٰ أن يَـرحمَهُم فـأَرسلَ إليهم نَبيّـاً . . وبدأ هـذا النبيُّ يَدعوقَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسـرائيـلَ إلى هـذا النبيِّ وقـالـوا لـه : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قــالــوا لــه : أَلسنـا مُشـرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : أَلسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قـالوا : لمـاذا لا تَسأَلُ أَن يبعثَ لنـا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتـهِ كي نُقاتـلَ في سَبيـلِ الله ونَستعيـدَ حقَّنـا ونُصلحَ مـا فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قـال نَبيُّهم :أَخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقـاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعـوا لو حـدثَ ما تَطلُبونَه ؟

قــالــوا : أبــداً لن نتــراجــعَ . .
قال نبيُّهُم : سوف أَسأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَته .

آنصــرفَ القــومُ ودَعــا النبــيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنـطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنـظرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِهِ: لقد آستَغرَقنا الحديثُ فسارتِ الأَغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

آنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعِهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَــدهُ التعبُ وآنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثورِ عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسأَلَه أين ضاعتْ . .

عــاد طـالــوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخـلَ عليه . .



قـال طالوتُ :أيها النبيُّ الكريمُ . . خــرجتُ أرعىٰ الأغنــامَ والحـميــرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أَين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسأَلُك عنها . .

سأَلَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقد سـأَلني المَـلأُ من بني إسـرائيـلَ أن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلونَ

تحت رايتِـه في سبيـلِ الله ، وقـد دعـوتُ الله فـآختـارَكَ ملِكـاً على بني إسرائيلَ .. وعليكَ أن تُعِدَّ نَفسكَ للقِتال .

سـألَ طـالـوتُ : الله هـو الـذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قـالَ طالـوتُ وهـو يَحسُّ بـالسّعـادةِ والرّهبةِ : أنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقـابلُ رؤَسـاءَ بني إسرائيلَ .

جـاءَ الغـدُ ، فـآجتمَـع رُؤسـاءُ بني إسـرائيلَ وآجتمَـع معهم طـالـوتُ . .

وقـال لهُم نبيُّهُم : إن الله قـد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبـرزتْ عوامـلُ العِنـادِ في نُفـوسِ بني إسـرائيلَ فقـالوا : كيفَ يكـونُ لـه المُلكُ ونحن أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سـألَهم نبيُّهُم : لمـاذا تَتصـوَّرونَ أنكُم أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قـال الرؤسـاءُ : نحن أغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاة الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعـوبِ بـالغِنى أو الفَقـر ، العِبـرةُ بـالقُـدرة على قِيـادةِ الشُّعـوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤَساءُ بني إسـرائيلَ يَقـولونَ : نحن نُصدِّقُك أيهـا النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننـا نحن شُـرفـاءُ هـذه الأمَّـة وسادتُها ؟ فكيف تَجـاهَلنا الله وآختـارَه هو ؟

قـالَ الـنـبـيُّ : لـيس لِمِـثـلي أَن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألـونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ . . وهـذا هو

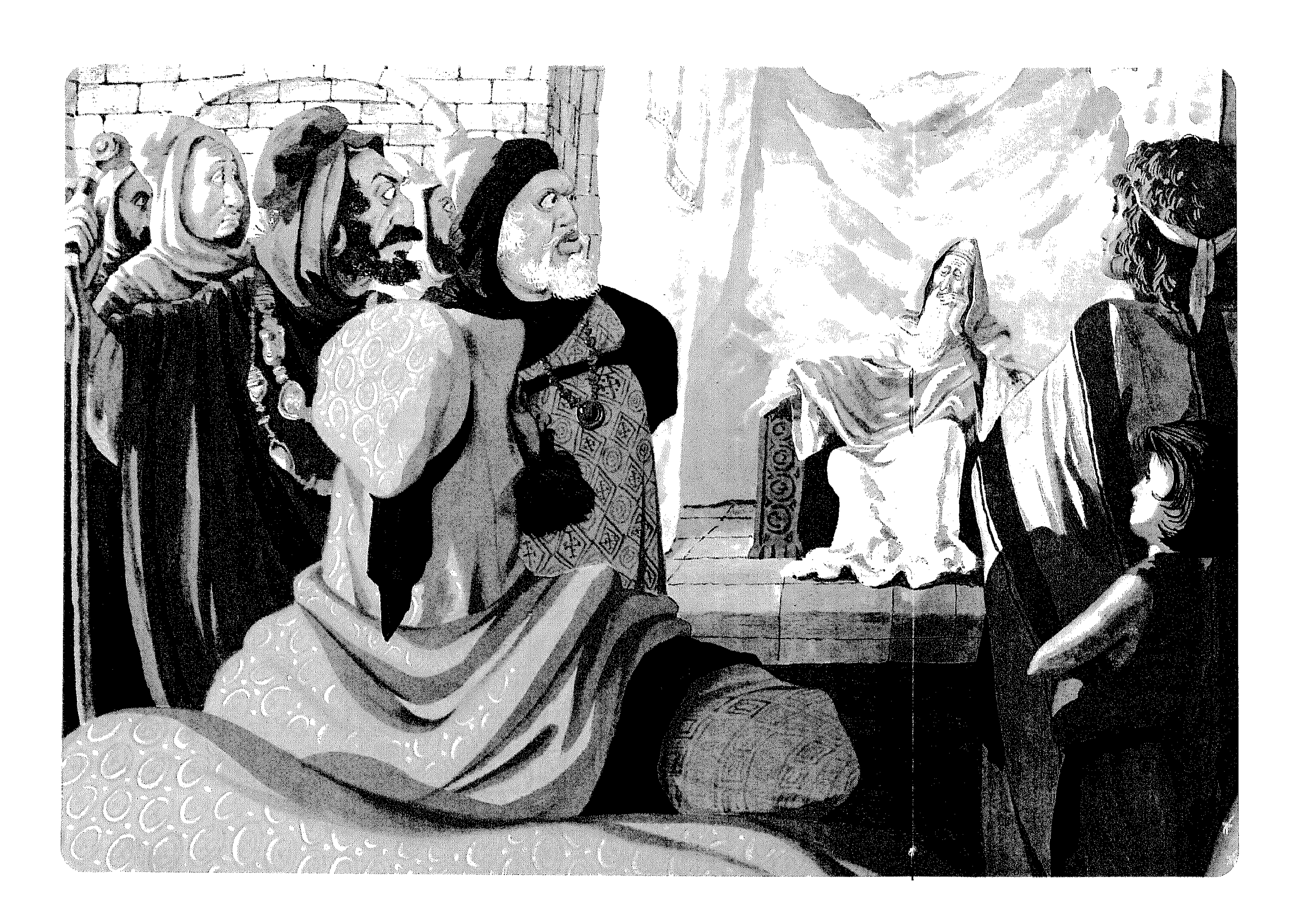
آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسـرائيلَ : أنتَ تسـدُّ عَلينـا بابَ الحِـوارِ أيّهـا النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينـا . . إن طـالـوتَ فقيـرٌ . . ومن الـرُّعـاةِ . . ليس من عـائِلةٍ كبيـرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكمِ ولا في السِّيـاسـةِ . . أليس من حقِّنـا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قـال النبيُّ : عِلمُه هـو الـذي فضَّلَه عليكُم . . لقـد آتـاهُ الله بَسـطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينـا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قـال النبيُّ : أيُّهـا السَّـادة . . لقـد أفهمتُكُم أكثَـر من مـرةٍ أن العِبـرةَ في الحُكم بِقُـدرةِ الحـاكِم عـلى قِيـادةِ الشعبِ ، ولقـد حـدَّثتكُم أن آختيـارَه للمُلكِ جـاءَ من الله . . وليس لـي أن أسألَ الله لماذا آختـارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أحداً لا يعـرفُ أَسـرارَ الله وحِكمتَـه فـي خَلقِه .



قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أن الله هـو الـذي آختـارَه لنـا ؟ نُـريـدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبـدِ غداً فسـوف تَقعُ المُعجـزةُ ويأْتيكُم تـابـوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيـلَ في اليـومِ التّـالي آنتِـظاراً لـوُقـوعِ المُعجِـزةِ . . كان تـابوتُ العهـدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلـواحِ التـوراةِ التي أُنـزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثـارٍ تَركَهـا موسىٰ وهارُون . . وكـان هذا التـابوتُ

قد سُلِبَ منهم وآستولى عليه عَدُوُّهم . .

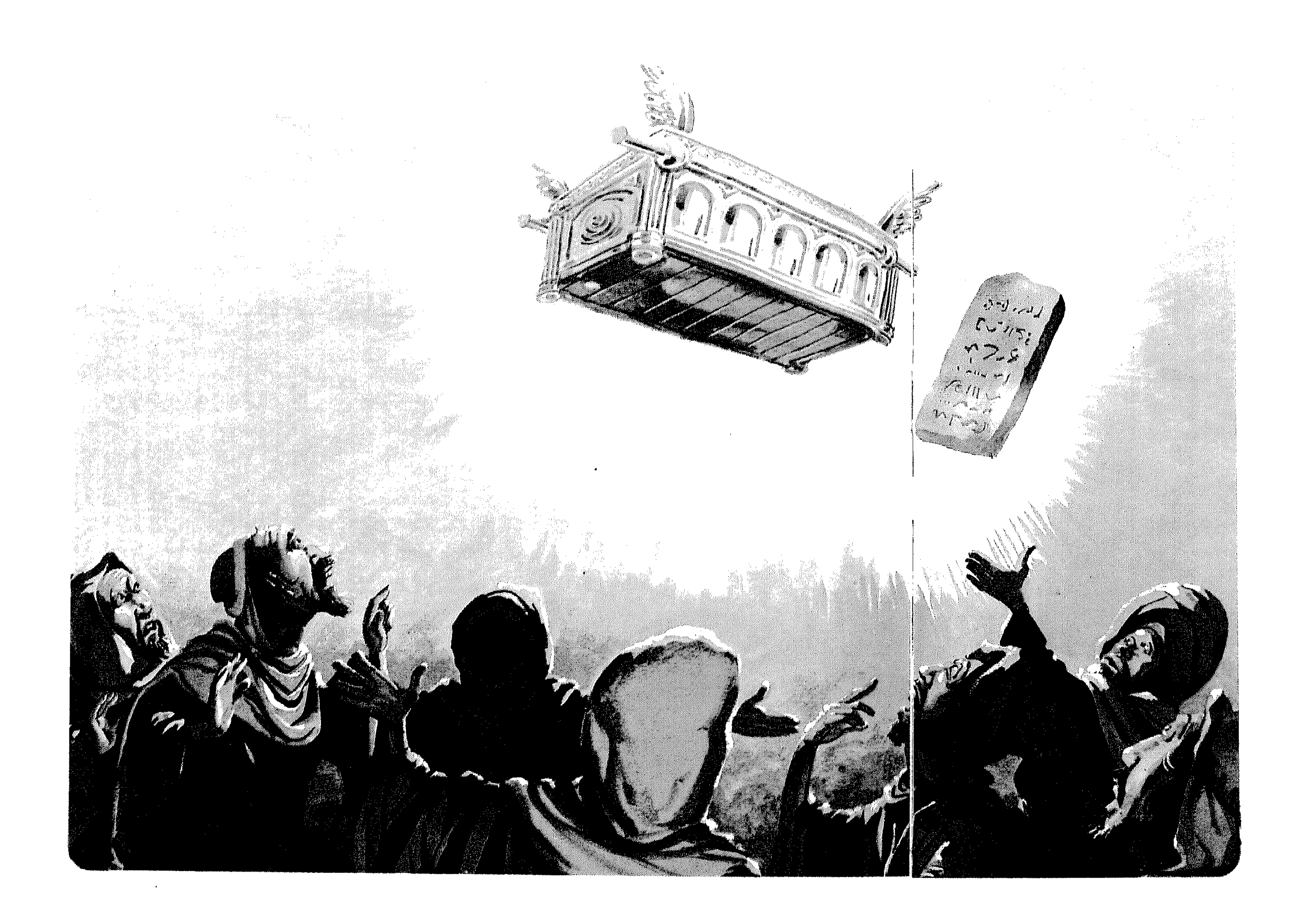
وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجِزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِه في المَعبد ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وآنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنَّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ بِبطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وآطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ مِلكاً عليهم . .

وهكذا أصبحَ طالوتُ مِلكاً على قَومِه . .

قَدَّم الناسُ لـه فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأ تكوينَ جيشٍ قويٍّ يتَدربُ على القِتال . .



أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعوُ الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أَن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاح إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قومِهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يرقُبُ بنفسِه حظَّ الأسلحةِ من القُوةِ والصَّلابةِ ، وكان يَمتحِنُها بنفسِه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاحِ والتَّدريبِ فترةً طَويلةً ، حتى آطمأنَّ طالوتُ لِسلاحِ قومِه . .

كان عدوُّهم هو جالوتَ ، وكان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أَحدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنودِه ولا مثيلَ لأسلحَتِه في القُوةِ . . وكانَ جالوتُ يُشبِهُ إعصاراً مُدمِّراً لا يُقاومُه أَحُد .

كان طالوتُ حَكيماً فأدركَ أن جَوهَرَ النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بقدرِ ما يَخضَعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أن الغَلَبَةَ ليستْ بأعدادِ الجُنودِ إنما بِصلابةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّه لم يكُن قد آطمأنَّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّةِ عند الجُنودِ والقادةِ . .

ولهذا قرّرَ أن يَمتحنَ هذا الجيشَ قبلَ أن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع عدوِّهم جالوت . .

وأَمر طالوتُ جيشَه أن يسيرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيَّاماً وليالِيَ وسطَ هذه الصحراءِ حتى بلغَ العطشُ بالرجالِ كلَّ مَبلغٍ . .

وآنتهى كلُّ الماءِ الذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤهُ شديدُ العُذوبةِ ، وقرَّر طالوتُ أن يكونَ هذا النهرُ هو أولَ

آمتحانٍ عمليّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألوِيَـة وقـال لهُم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُـرهُ الجيشُ . . لا تَشربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قـال قـادةُ الجُنـدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهـرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتـرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهـرِ فَلينسحـبْ من الـجيشِ . . آعـلمُـوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أوامِري للجُنودِ وتَهيّأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيا شَـديـدةُ الحَـرارةِ ، والمـاءُ عـذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُـودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .

آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أوامـرَه وشربَ من النهرِ . .

كـان الجيشُ كبيـراً قبـلَ أن يعبُـرَ النهرَ ، ولكنّه بعـدَ عُبورِ النهـرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تَماماً . .

آنكـمَش الـجيشُ إلـى أقـلّ مـن النِّصفِ . .

قـالَ قادةُ الجيشِ لِطالـوت : لقـد آنكمشَ عَددُنا كثيـراً . . فكيفَ نُقاتلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قـالَ طـالـوتُ : ليسَت العبـرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قـالَ القـادةُ : لقـد خـرجَ مُعـظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قـالَ طالـوتُ : بل بقيَ الكثيـرُ . . لقـد خرجَ غيـرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصـونَ الصَّابـرونَ . . والصبـرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخَـرط الجيشُ في حوارٍ حـولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قـالَ أحدُ الجُنـودِ : لو أن طـالـوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنـا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العـددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تسـاءَلَ الجُندي : مـا الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟

قـال الضـابطُ : شيءٌ لـيس هـو السلاحُ ، وإن كـان السلاحُ مُهمـاً ، وشيءٌ ليس ظـاهِراً وإنمـا هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّـونَـه الـرُّوح . . . أو إصـرارُ الـروحِ على الكسبِ . إن الجُنـديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستـطيعُ الصبـرَ على حرارةِ المعـركـةِ وعَـطشِها . . والجُنـدي الذي لا يتبـعُ أوامِـر قـائِـدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإربـاكِ الجيشِ كُلهِ في المعركِة .

لقـدَ خــرجَ من الجيشِ ضعـافُ الـروحِ . . وبَقيَ الأقـويـاءُ . . وغـداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشـاعَ الإيمـانُ العميقُ في الجيشِ وقـالَ المُؤمنـونُ : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ** ﴾ .



بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن
ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال
موسى وءال هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصابرين

صدق الله العظيم